أثر السياق في توجيه دلالة الكلمة
دراسة نطبيقية في الحديث النبوي.

د. عادل صغيرون تيراب

مدرس النحو والصرف– عميد كلية الآداب والإعلام والفنون بجامعة الملك فيصل بتشاد

الملخص:

تحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على أهمية السياق، والكشف عن علاقته القوية بالدلالة، وذلك من خلال دراسة أثر السياق في تقديم جزء من معنى الكلمة، لأن الكلمة المفردة يصعب الوقوف على معناها وقد برهنت الورقة على أن معنى الكلمة ينجلي ويتضح من خلال علاقتها وصلتها بأخواتها داخل السياق.

Abstract:

This paper investigates the context and its importance, by shedding light on the relationship between the syntax, and the meaning through the effect of context in meaning of the word.

The paper found that it's difficult to understand the meaning of the word unless we determine it in context.

المقدمة

إن الوظيفة الأولى للغة هي إقامة التواصل، بين البشر، ويتوقف الاتصال اللغوي الناجح على الفهم السليم من قِبل المتلقي، والإفهام الكامل من قِبل المرسِل، وهذا كله محكوم بوضوح المعنى، فإذا خفِي المعنى تعطلت وظيفة اللغة، ولم ينجح الاتصال اللغوي في تحقيق غايته.

والإنسان عندما يتكلم أو يكتب لا يستخدم الكلمات المفردة، بل يستخدم الجمل التامة المفيدة، وعليه فإن معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال وضعها في سياق لغوي متكامل، ومن ثم فإن معنى الكلمة يتحصل من علاقتها بأخواتها في التركيب.

(ISSN: 2536 - 9555)

إن دراسة السياق تعد محور رئيس من محاور علم الدلالة، وثمرة من ثمراته، إذ جعلت منه نظرية ومنهجاً متكاملاً لدراسة المعنى، وذلك لأهميته البالغة في الدرس اللغوي، فالسياق يؤدي دوراً فاعلاً في توجيه الإعراب، وفي تقدير المحذوف، وفي بيان مرجع الضمير، وفي توجيه دلالة حروف المعاني، و في توجيه دلالة الزمن، ودلالة الكلمة المفردة.

أهمية الدراسة:

عالجت الدراسة الصلة القوية بين المعنى والسياق، وفي هذه المعالجة تأكيد عن أن معنى الكلمة لا يمكن الوقوف عليه إلا من خلال السياق، ومن ثم إبراز أهمية السياق في الدرس اللغوي.

أهداف الدراسة:

التعرف على مفهوم السياق، وأثره في بيان المعنى.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الوصفي، وذلك لمناسبته وطبيعة الدراسة، أما منهج الباحث في دراسته فقد قام على الآتي:

أ- الوقوف على كل ما يتعلق بالسياق، وقوفاً كاملاً من خلال الكتب اللغوية.

ب-استخراج الأحاديث من صحيح البخاري، والرجوع إلى شرحها في كتاب فتح الباري.

ج- إجراء التحليل واستخلاص النتائج.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة متضمنة مستخلص البحث باللغتين العربية والإنجليزية، والمقدمة، ومحورين: المحور الأول تناول مفهوم السياق وأهميته، والمحور الثاني تناول الدراسة التطبيقية، وختمت الدراسة بذكر النتائج، والتوصيات، وقائمة المراجع.

المحور الأول
السياق مفهومه وأهميته وأقسامه

السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بعدها داخل إطار السياق.

أولى العلماء على اختلاف توجهاتهم السياق عناية بالغة، لما يترتب عليه من توجيه للمعنى وقد ظهر ذلك جلياً في مصنفات اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين، وشراح الحديث، أما عند علماء اللغة فقد أصبح السياق نظرية قائمة بنفسها، بل أصبحت من أهم نظريات المعنى.

السياق في اللغة:

تحديد المفهوم اللغوي يعد ركناً أساسياً في تحديد المعنى الاصطلاحي، بل إنه لا يتضح إلا من خلاله، لذا كان من الضروري تتبع المعنى اللغوي للسياق كما ورد في المعاجم، قال ابن دريد: "السوق مصدر سقت البعير أسوقه سوقاً"[١]، أما ابن فارس فقال: "السياق المهر يقال: سقت إلى امرأتي صداقها سياقاً، أي أعطيتها المهر"[٢]. وقال الجوهري: "إن السياق نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يسوق أي ينزع عند الموت"[٣]. وجاء في اللسان تحت مادة السوق: "ساق سوقاً وسياقاً وهو سائق وسواق شدد الإبل وغيرها

---

[١] ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٢، ١٩٨٧م، مادة (سقو)،٨٥٣/٢ .

[٢] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ٢٠٠٨، مادة (سوق)، ١١٧/٣.

[٣] اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٩٨٧م،٤٣٥/٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

يسوقها"[٤]، كما جاء في المعجم الوسيط: "السياق المهر، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه والسياق النزع، يقال: هو في السياق: الاحتضار"[٥].

إذن المعنى الذي يمكن أن نأخذه من هذه النصوص هو دلالة كلمة السياق على التتابع، والتسلسل ولحوق شيء لشيء آخر واتصاله به، كما يعني الارتباط والانتظام في سلك واحد.

قال تمام حسان: "المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين: الأولى توالي العناصر التي التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص والثانية توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق سياق الموقف"[٦]. يشير تمام حسان إلي قسمي السياق، وهما السياق اللغوي، وسياق الحال الذي أسماه سياق الموقف.

السياق في الاصطلاح:

مصطلح السياق من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق في الدراسات اللغوية الحديثة، ولعل هذه الصعوبة هي التي جعلت الذين كتبوا في السياق يغضون الطرف عن تعريفه وينتقلون إلى تبيين أهميته في دراسة المعنى، وإظهار وظائفه وعناصره، والحديث عن سياق الحال، وغير ذلك من المباحث المتعلقة بهذا الموضوع.

يقول محمد حبلص: "إذا كنا نشعر بالصعوبة الواضحة في تجلية المقصود بالسياق بوصفه مصطلحاً، فإن مرجع هذه الصعوبة في نظري، هي محاولة العثور على تعريف للمصطلح من ذلك النوع الجامع المانع كما يقول المناطقة، فسوف أولي وجهتي شطر ناحية أخرى لعلها أجدى من تجلية المقصود بالسياق من محاولة البحث عن مثل هذا

---

[٤] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/١، ١٩٩٠م، مادة (سوق).٤٧/٩.

[٥] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط/٢٠٠٤م، ص٣٠.

[٦] د. تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط/٣، ٢٠٠٩م، ص٢٣.

التعريف العصي، أعني بذلك صرف الجهد في التعرف على خصائص السياق، وفهم عناصره وبيان دوره في تحديد المعنى"[٧].

ورغم تلك الصعوبة الظاهرة في تعريف المصطلح كما يرى محمد حبلص، فإن هناك من حاول أن يضع له تعريفاً اصطلاحياً في ميدان علم اللغة الحديث، قائلاً: "السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها، وتترابط وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق"[٨].

وبملاحظة التعريف السابق نجده عرَّف السياق من جانبه اللغوي فقط، ولم يتطرق إلى السياق غير اللغوي، أو سياق الحال.

وهناك تعريفاً أكثر شمولاً: "السياق هو مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب وتؤثر فيه"[٩]. يترتب على هذا التعريف أن هناك سياقين يتحكمان في توجيه دلالة النصوص وهما: سياق لغوي، وسياق غير لغوي، يضم جميع الظروف والوقائع غير اللغوية التي تحيط بالنص عند شرحه من أجل توجيه معناه.

وقد وجد السياق بشقيه اهتماماً كبيراً من النحاة وعلماء اللغة الذين تركزت جهودهم على تعليم اللغة ودراسة المعنى، فاللغة عند سيبويه لم تنفك عن ملابسات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي الذي يكتنف الاستعمال اللغوي، ودليل ذلك أن الجملة الواحدة عنده قد تكون صواباً مرة وخطأً مرة أخرى، لاختلاف السياق الذي قيلت فيه،

---

[٧] د. محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط/١، ١٩٩١م، ص٢٨.

[٨] د. عبد الرحمن بودرع، مقال :أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء (المغرب)، العدد ٢٥، ٢٠٠٧م، ص٧٣.

[٩] د. محمد الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط/١، ١٩٨٢م، ص٢٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

وبتعبير سيبويه يكون الكلام الواحد محالاً وحسناً بحسب ما يرد فيه، فهو يقول:" وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقاً وهو زيد منطلقاً كان محالاً، لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية لأن هو وأنا علامتان للمضمر وإنما يضمر إذا علم أنك عرفت من يعني، إلا أن رجلاً لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك كان حسناً"(١٠).

فقرينة المقام هي التي سوغت قبول الكلام واستحسانه عند سيبويه وإلا كان محالاً مرفوضاً. كما تكلم سيبويه عن اختلاف العبارة في المقام على وفق حال المخاطب من الإقبال والانصراف فإذا قصدت إلى خطاب رجل وهو غير مقبل عليك وغير منتبه إليك، فقلت: يا فلان أنت تفعل، فتبدأ بالنداء حتى يقبل عليك، اما إذا كان مقبلاً عليك بوجهه منصتاً لك، فتترك يا فلان حين قلت: أنت تفعل استغناءً بإقباله عليك(١١). وتناول سيبويه هذه الجملة:" رأيت زيداً الصالح" مراعياً حال المتكلم، فقال: "لا تستقيم هذه الجملة إذا كان المتكلم أعمى"(١٢).

لقد كانت نظرة سيبويه إلى اللغة نظرة واسعة شملت كل ما يحيط باللغة من سياق لغوي وغير لغوي.

وكان ابن جني رائداً في مجال التحليل السياقي من أجل كشف الدلالة اللغوية، ونظراته قد جاءت متفرقة تفتقر إلى تنظيم يربطها في إطار جامع، تكلم ابن جني عن العلاقة بين الحذف وسياق الحال قائلاً: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب(١٣)، من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل، وكأن

(١٠) سيبويه عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م، ٢/٨٠.
(١١) المرجع السابق ١/٢٤٤.
(١٢) المرجع نفسه ١/٤٠.
(١٣) نفسه ١/٢٢٠.

هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) ... أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك،... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك"[١٤].

إن النص السابق يكشف عن التفات ابن جني إلى أهمية الدلالات الصوتية من تنغيم وتفخيم ومد لبعض الأصوات في تعزيز المعنى، والتعويض عن الحذف الذي يطرأ على الجملة، مع ما يرافق ذلك من إيماءات في الوجه تقوم مقام الصفة المحذوفة، إن تتبع إشارات ابن جني في كتابه (الخصائص) يضع أمام الباحثين دليل قوي على سعة فهمه لأهمية السياق في بيان المعنى.

أما ابن يعيش فقد أشار إلى أثر القرينة السياقية في جلاء المعنى، وذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يذكر اللفظ المطابق، فهو يقول: "واعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبرمحل الفائدة، فلابد منهما، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية، قد تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالته عليه، لأن الألفاظ إنما جيئ بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به، ويكون مراداً حكماً وتقديراً[١٥].

---

[١٤] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ٢/٣٧٠.

[١٥] ابن يعيش موفق الدين يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د، ت، ٢٣٩/١.

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد اعتمد النحاة على سياق الحال في توضيح المعنى في كثير من الأبواب النحوية، نذكر مثالاً واحداً لذلك (باب النداء). يعد باب النداء وما حواه من قوانين "ممثلاً لضرب من الخطاب الكلامي، الذي لا يؤدي دوره في التواصل، إلا بوصفه عنصراً من عناصر مسرح اجتماعي، يضم مرسلاً ومستقبلاً أو مخاطباً ومتلقياً، وقد ألمح النحاة إلى هذا الربط بين أسلوب النداء والمقام، وتنويع الأحكام بتنويع ظروف هذا المقام ومقصد الكلام"[١٦].

ومن الأمثلة التي ذكرها النحاة، تفريقهم بين النصب والبناء على الضم بين النكرة المقصودة وغير المقصودة على قصد المتكلم، فإن قصد واحداً بعينه وجب البناء على الضم وشابهه العلم، وإن لم يقصد لم يتعرف وبقي على إبهامه وأعرب على النصب[١٧].

في المثال السابق كان مقصد المتكلم– وهو عنصر مهم من عناصر سياق الحال– هو الأساس الذي تم من خلاله التفريق بين النصب والبناء على الضم، بين النكرة المقصودة وغير المقصودة كما إن توزيع أدوات النداء على المنادى يرجع إلى المقام، فالمنادى البعيد أو شبهه له أدوات والقريب له أدوات والسر في تقسيم هذه الأدوات هو محاولة الربط بين أسلوب الخطاب وواقع الحال.

ويظهر كذلك اهتمام النحاة بالسياق من خلال مسألة "الرتبة والحذف"[١٨]، حيث يجب الإبقاء على أصل الرتبة عند زوال القرينة حتى لا يقع اللبس، فلذلك هم يفرقون بين "ضرب موسى عيسى" و"أكل الكمثرى عيسى" ففي الأولى يجب مراعاة الترتيب، وفي الثانية يجوز التقديم والتاخير بناءً على وجود القرينة.

---

[١٦] د. كمال محمد بشر، علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار غريب، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٧م، ص ٩٩.

[١٧] جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٥م،١/٨٤.

[١٨] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٠م، ص ٤٥.

نكتفي بما أوردنا من أمثلة تدلل على أهمية السياق عند النحاة، وخلاصة القول: هناك تواصل بين السياق والمعنى النحوي أشار إليه النحاة في جوانب متعددة.

ولم يقتصر الاهتمام بالسياق على النحاة فحسب، فقد اهتم به المعجميون والبلاغيون وسنتناول جانباً من اهتمام أصحاب المعاجم وأهل البلاغة بالسياق، حتى يكمتل للسياق خطره في الكشف عن المعنى.

وجه المعجميون عنايتهم إلى دلالة السياق منذ بداية التأليف المعجمي، سواء كان على مستوى السياق اللغوي أم على مستوى السياق المقامي، يقول هادي نهر: "يمكن عد صنيع المعجميين القدامى في أكثر أوجهه وصفاً للاستعمال الفعلي للغة، وهذا الوصف مستنداً أساساً إلى ملاحظتهم للسياق أو للمقام الذي تجري فيه اللغة نشاطاً تواصلياً، حيث لا يمكن الوقوف على دلالة بعض نصوصه الإبداعية من غير الإحاطة بالظروف التاريخية، أو الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية، أو الأعراف والتقاليد والأذواق التي أحاطت به، والحيز الزماني والمكاني الذي أنتج فيه، أو اكتنف لحظات إبداعه، وهو حيز مقامي حالي اساساً"[١٩]. كما تعددت وسائل المعجميين في شرح دلالات الألفاظ، من شرح بذكر المرادف، والضد وشرح بالتعريف، وشرح بذكر النظير، وشرح بذكر الشواهد والتحليل اعتماداً على السياق[٢٠].

ومصداق ذلك ما نجده في معجم (العين) حيث كانت طريقة الفراهيدي في معجمه تقوم على: "البحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، وأخرى مهملة لدى تقلب الحروف في التركيب، لتعود ألفاظاً بداية ونهاية طرداً وعكساً،... وجعل معول التفريق بين المهمل وغير المهمل ورودها في السياق"[٢١].

---

[١٩] د. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط/١، ١٩٨٧م، ص ٢٤٨.

[٢٠] د. عبد الله درويش، المعاجم العربية، الفيصلية، مكة المكرمة، ط/١، ١٤٠٦هـ، ص١٠٢.

[٢١] د. محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٩٨٨م، ص٣٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويمكن الاستشهاد بمعجم (أساس البلاغة) للزمخشري، حيث يلاحظ فيه إدراكه للتطورات المجازية للكلمة، وأثر السياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي في هذا التطور، وقد احتوى معجمه كما يقول هادي نهر على عنصرين أساسين في الدرس الدلالي هما: أثر الاستعمال في حياة الكلمة وتحديد معناها والوقوف على جزء من إيحاء الكلمة في النفس[٢٢].

ومن أبرز ما يميز معجم (أساس البلاغة) اعتماده على عناصر واضحة من سياق الحال في توجيه المعنى، وخاصة المجاز، وفي ذلك يقول غازي طليمات: "ولا يخفى أن المجاز يفتح أمام الأدباء أبواباً واسعة لابتكار أوجه جديدة من الاستعمال السياقي لكل كلمة، ولعل جار الله الزمخشري قد حرص على أن يسوق في معجمه (أساس البلاغة) عشرات العبارات المجازية لكل كلمة ..."[٢٣].

وكذلك ظهر الاهتمام بالسياق– أيضاً– في أكثر من مؤلف من المؤلفات الأدبية التي ظهرت في زمن مبكر، ومن بينها التي كتبت في (النوادر) و(غريب القرآن) و(غريب الحديث). وغير ذلك من صنوف التأليف التي تدلل على إدراك أصحابها، أن العمل المعجمي إنما هو رصد للغة في حركتها الاجتماعية مع ملاحظة السياق الذي تجري فيه، فتنوع استعمالات الكلمة وتعدد أبنيتها قياساً إلى وظيفتها السياقية وطبيعة مستعمليها وحاجتهم ومقاصدهم كلها تستند إلى سياق محدد، ومقام معين يحيط بها ويحدد استعمالها[٢٤].

وتتضح عناية البلاغيين بالسياق من خلال عبارتهم المشهورة (لكل مقام مقال)، أو العبارة الأخرى (لكل كلمة مع صاحبتها مقام)[٢٥]. إذن المقام لديهم له دور كبير في المعنى، لأنه ركن أساسي في الصحة الخارجية للنص، أي الانتقال به من الفصاحة إلى

---

[٢٢] د. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، الجامعة المستنصرية، ط/١، ١٩٨٨م، ص٨٤.

[٢٣] د. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، سوريا، ط/٢، ٢٠٠٠م، ض٢١٤.

[٢٤] د. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٢٨٧.

[٢٥] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م، ص ٦.

البلاغة المتمثلة في وجوب مطابقة النص لمقتضى الحال. فقد يكون النص فصيحاً أي صحيحاً صحة داخلية من حيث التركيب وقواعده الصوتية والصرفية والنحوية، ولكنه لا يكون بليغاً إلا إذا وافق مقتضى الحال.

قول البلاغيين (لكل كلمة مع صاحبتها مقام) يشمل العناصر المكونة للسياق اللغوي وغير اللغوي وفي ذلك يقول كمال بشر: "وفي قولهم: (لكل كلمة مع صاحبتها مقام) كلام عن الاهتمام بالصحة الداخلية للنص، ... التي تفيد وجوب مراعاة الربط والسبك بين وحدات النص، وهوما يشار إليه بالسياق اللغوي بل إننا نقول إنه يحتوي على عناصر السياق كلها..."[٢٦].

إن اهتمام البلاغيين بفكرة السياق وخاصة سياق الحال أو المقام، بدا واضحاً في كل مؤلفاتهم وقد وجد هذا الاهتمام التأييد التام من اللغويين المحدثين، وخير ما نستدل قول تمام حسان: "وقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعد الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في الدرس اللغوي"[٢٧].

وقد اهتم بالسياق الأصوليون في مؤلفاتهم والمفسرون لكتاب الله، وشراح الحديث النبوي يقول الزركشي: "الرابع من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة فهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره ..."[٢٨].

---

[٢٦] د. كمل بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص٩٧.

[٢٧] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط/٥، ٢٠٠٦م، ص٣٣٧.

[٢٨] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/١، ٣٤٥/٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

أما في العصر الحديث فقد تعددت النظريات التي تناولت المعنى بالشرح والتحليل، ومن بينها النظرية السياقية، وعلى الرغم من أن فكرة السياق فكرة قديمة تناولها علماؤنا الأوائل فإن هذه النظرية وجدت في الدرس اللغوي الحديث عناية خاصة وفائقة، ورائد هذه النظرية العالم (فيرث)، والذي توسع في دراسة النظرية السياقية ومعالجة كل ما يتصل بالمعنى من خلالها حتى أثبت أن المعنى كله إنما هو وظيفة في السياق[٢٩].

يرى (فرث) أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، وبالتالي فإن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الكلمة، أي وضعها في سياقات مختلفة، وعلى هذا فإن دراسة معنى الكلمة يتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي أي مقامي[٣٠].

هذا يعني أن الأساس الذي انبت عليه النظرية السياقية يقوم على رفض النظر إلى الكلمة وهي مفردة خارج التركيب (السياق اللغوي)، وعلى مراعاة الموقف الذي تقال فيه الكلمة (سياق الحال)، وبناءً على هذا الأساس فإن السياق ينقسم إلى سياق لغوي وسياق غير لغوي، وهذا التقسيم أجمع عليه كل العلماء قديماً وحديثاً، وسنتناول هذين النوعين من السياق بالتركيز على عناصرهما ودورهما في الكشف عن الزمن النحوي.

أ- السياق غير اللغوي:

أطلق العلماء أكثر من تسمية على السياق غير اللغوي، منها: "سياق الحال"[٣١]، و"المقام، أو المسرح اللغوي، أو مجريات الحال"[٣٢]، و"ملابسات الحدث اللغوي"[٣٣]،

---

[٢٩] د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط/٧، ٢٠٠٩م، ص٦٨.

[٣٠] المرجع السابق، ص٦٩.

[٣١] د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٣٣٨.

[٣٢] د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص٩٦.

[٣٣] د. محمد أيوب، التطور اللغوي، دار الطباعة القومية، القاهرة، ط/١، ١٩٦٤م، ص٨٣.

ولكنهم يتفقون على عناصر هذا السياق اتفاقاً يكاد يكون كاملاً، كما يتفقون على أثره في بيان المعنى.

يقول كمال بشر: "كان (فيرث) منطقياً مع نفسه ومبادئه حين جعل فكرة (السياق) أو ما سميناه نحن بـ(المسرح اللغوي) أساساً لنظرته في التحليل اللغوي، فعنده أن الكلام ليس ضرباً من الضوضاء يلقى في فراغ، وإنما مدار فهم الكلام والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين سماه السياق، وهو ذو عناصر معينة ومتكاملة، وهي ضرورية في عملية الفهم والإفهام"[٣٤].

وعناصر سياق الحال هي: المتكلم، والسامع، والموجودين في الموقف الكلامي، والأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام، وأثر الكلام الفعلي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم أو الضحك، والعوامل والظواهر الاجتماعية المتعلقة بالموقف الكلامي، كمكان الكلام وزمانه والظروف الخاصة الملابسة للحدث اللغوي[٣٥].

يعتقد اللغويون أن هذه العناصر مجتمعة مهمة في تحديد المعنى، وأن دلالة سياق الحال تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف الموقف الذي تقال فيه، مهما كانت بساطتها وسذاجتها، ولنأخذ هذه الجملة مثالاً: "ضرب محمدٌ علياً، هذه الجملة ببساطتها تصلح أن تكون مثالاً مصنوعاً من أمثلة كتب النحو، ولكنها إذا نُظر إليها على أنها جملة واقعية تختلف من قائل إلى آخر، ومن مستمع إلى آخر، ومن غرض إلى آخر، باختلاف ما يعرف عن كل من محمد (الفاعل) وعلي (المفعول به) في كل موقف، وباختلاف علاقة قائل هذه الجملة أو المستمع لها بكل من محمد أو علي، وما يكون لكل منهما من تجارب سابقة مع كل من محمد أو علي، وباختلاف الصفات الجسمية

---

[٣٤] د. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٣١.

[٣٥] د. محمود السعران، مدخل لدراسة علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٣٤١.

(ISSN: 2536 - 9555)

والشخصية والعقلية والخلقية لكل منهما، وما يعتقده المستمع أو المتكلم في كل منهما ولك أن تتوقع ما تدل عليه هذه الجملة إذا كان الفاعل (محمد) شخصاً غليظاً وكان المفعول به (علي) على نقيض هذه الصفات، أو إذا كان الفاعل طفلاً أو المفعول به رجلاً مسناً.. [٣٦].

هذا هو منتهى السياق غير اللغوي عند علماء اللغة، ومن غير شك أن كل ما قرروه له تأثير على المعنى العام للجملة أو النص اللغوي.

تمسكاً بموضوعية العرض وما يقتضيه من الإحاطة بجميع جوانب الموضوع حين العرض، لابد من الإشارة إلى بعض مظاهر الجانب التطبيقي لوظيفة سياق الحال، وذلك بهدف الوصول إلى نتيجة مفادها وضوح الرؤية لأثر سياق الحال في بيان المعنى، ضرب السكاكي مثلاً بيَّن فيه أهمية سياق الحال في قوله تعالى: ((أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ))[٣٧]، فهو يقول: "فمن لم يكن من الأعراب أو يعرف ما يتعلق بحياتهم، وما عليه معاشهم، فإنه سوف يستغرب لهذا الجمع بين الإبل والسماء، والجبال والأرض؛ وذلك لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبعده عن خياله عن السماء وبعد خلقه عن فهمها، وكذا البواقي"[٣٨].

ولكن بالتعرف على حياة العرب في مختلف نواحيها الاجتماعية، وبإدراك السياق الاجتماعي المصاحب للنص، يزول عجبه من الجمع بين هذه الأشياء، كما وضح السكاكي: "وذلك إذا نظر إلى أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم، من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة على أكثرها نفعاً وهي: الإبل، ثم إذا كان

---

[٣٦] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص١١٤.

[٣٧] سورة الغاشية، الآيات ١٧– ٢٠.

[٣٨] أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٩٨٧م، ص٢٥٧.

انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب، كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم، وإلى حصن يتحصنون فيه، لا مأوى إلا الجبال...وإنما الحضري حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه، إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النسق بجهله معيباً للعيب فيه"[٣٩].

ما ذكره السكاكي في حديثه عن سياق الحال، يعد مثالاً جامعاً لكل عناصر سياق الحال التي قالها أهل اللغة، وموضحاً لأثر هذا السياق في الكشف عن المعنى، لذلك سنكتفي بهذا المثال.

ب- السياق اللغوي:

يعتمد السياق اللغوي على ذكر العناصر اللغوية في النص، أي هو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، الذي يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة. أو هو مجموعة العناصر المكونة للحدث اللغوي من فونيمات ومورفيمات وتراكيب نحوية، كما يشمل مجموعة العلاقات التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض، زيادة على طريقة الأداء التي تصاحب النطق بهذه العناصر مثل النبر، والتنغيم، والوقف، وبتعبير أعم فالسياق اللغوي يشمل مجموعة قرائن التعليق المقالية سواء كانت قرائن معنوية أم لفظية[٤٠].

إذن السياق اللغوي يرتكز على الكلام المنطوق، وعلى كيفية تركيب الكلمات في جمل وكيفية نطقها، والعلاقة التي تربط بين هذه الجمل حتى تكون كلها مرتبة ترتيباً صحيحاً مرتبطة ارتباطاً متيناً في بيئة واحدة هي النص اللغوي.

يقوم السياق بدور كبير في تحديد الدلالة الوظيفية للوحدات التركيبية داخل السياق، والدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو ما. وهي دلالة مهمة ومتعددة ولا تضبط إلا بالسياق، وفي ذلك

---

[٣٩] المرجع السابق، ص٢٥٨.

[٤٠] د. عبد الرحمن أيوب، التطور اللغوي، ٦٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

يقول تمام حسان: "إذا صح أن يتعدد المعنى للحرف، والأداة، والصيغة، واللفظ المفرد، والوقف والابتداء، فإن المعنى يتعدد أيضاً لتركيب الجملة في بعض الحالات. ولقد رأينا كيف يعتمد المفسرون والفقهاء في فهم معنى الأمر، ولكن له مظاهر أخرى في تراكيب العربية سجلها النحاة تحت عنوان (إشراب التركيب معنى غير معناه الأصلي)..."[٤١].

ومما لا شك فيه أن السياق اللغوي هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل متسق، وأن الكلمات في الجمل تتوالى على نسق مرتب، وتخضع في ترتيبها إلى قواعد تركيبية مطردة، وإلى علاقات شكلية داخلية تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي وتضبط بالسياق، فالسياق هو المعنى الذي يؤديه النص، ولا ينكر "أن دلالات السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة– بمفرداتها نفسها– إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة الجملة، ولنأخذ مثالاً جملة: "فازت مريم على سعاد" فإن أي تغيير في موقع كل كلمة من كلماتها يؤدي إلى معنى مغاير بحسب سياقها من التركيب"[٤٢].

يقول تمام حسان: "إذا كان الزمن النحوي وظيفة في السياق فإن علينا أن ننظر في هذا السياق لنكشف عن الزمن، وإن الذي يمكننا أن ننظر إليه من أنواع السياق هو أنواع مباني الجملة العربية..."[٤٣].

ومن هنا يؤكد اللغويون على أهمية التركيب "لأن التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة، وأن السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص ما تقتضيه، وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس، تعطي ألواناً كثيرة كلما أدرتها إدارة جديدة والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشع من ألوانه ما يراد

---

[٤١] د. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٧، ص٢٢٢.

[٤٢] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص١١٣.

[٤٣] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناه، ص٢٤٣.

إشعاعه، فالسياق النحوي شبكة من العلاقات النحوية تقوم كل علاقة فيها عند وضوحها على إضاءة المعنى، وقد يعول وضوح المعنى أو انتاج الدلالة على التآخي والتضافر بين قرائن السياق النحوي"[٤٤].

يتضح مما سبق أن من أراد أن يقف على دلالة الكلمة، لابد له من دراسة التركيب وقواعده التي تحكمه، والعلاقات التي تنظمه، وقد أشار مهدي المخزومي إلى أن هناك ثلاثة أسس في منح الجملة دلالتها الخاصة وهي: ارتباط الألفاظ بعلاقة نحوية تنتظم بها المعاني المراد التعبير عنها، في نص يقوم على قواعد نحوية صحيحة، وارتباط الألفاظ بعلاقات سياقية تنتظم بها مفرداته بعضها مع بعض، وتنتظم هي مع ما قبلها وما بعدها في تتابع فكري متناسق يخضع للمعنى العام للنص الكلي، والعدول أحياناً عن العلاقات النحوية المباشرة إلى أساليب بيانية أو بلاغية يرقى بموجبها المستوى الفني لكلامه[٤٥].

المحور الثاني
الدراسة التطبيقية

أثر السياق في دلالة الكلمة:

يؤثر السياق في دلالة الصيغة المفردة، فقد قرر علماء اللغة العربية أن لكل صيغة صرفية دلالة محددة، وأي زيادة في مبنى الكلمة تؤدي إلى زيادة في معنى الكلمة، والمصادر التي تأتي على وزن (فعلان) تدل على الحركة والاضطراب، وصيغة (استفعل) تدل على الطلب غالباً والمصادر المضعفة تدل على تكرار الفعل[٤٦]، وربما

---

[٤٤] د. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط/١، ١٩٨٤م، ص٧٣.

[٤٥] د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٧٦م، ص٣١.

[٤٦] ابن جني، الخصائص، ١٥٢/٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

جاءت بعض الأبنية متحدة الوزن، ولكنها مختلفة في دلالتها على المعنى المراد، والذي يحدد المعنى إنما هو السياق.

فمن ذلك أن أسماء الزمان والمكان التي تصاغ من الثلاثي على وزن (مفعَل) بفتح العين نحو: مذهَب، ومشرَب، ومخرَج)، فإننا لا نستطيع أن نحدد اسم المكان أو الزمان إلا عن طريق السياق، ومن ذلك أيضاَ النسب إلى ما آخره ياء مشددة مثل: (كرسيّ، وزنجيّ، وشافعيّ) ففي هذه الحالة يتحد لفظ المنسوب وغير المنسوب، والذي يفرق بينهما هو السياق.

وفي القرآن الكريم وردت بعض الألفاظ على وزن (فاعل) ولكنها لا تدل على وصف بالحدث وإنما تدل على دلالات أخرى تستفاد من قرائن السياق، مثل قوله تعال: ((خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ))[٤٧]، و((فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ))[٤٨]، إذن لابد من مراعاة السياق، وإلا خفِي المعنى.

١- جاء في الحديث الشريف: "... قَال: مَا الإِحْسَانُ؟ قَال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فإن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ"[٤٩].

قال ابن حجر في شرح الحديث: "الإحسان هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان: إذا أوصلت إليه النفع. والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة"[٥٠]. السياق هو الذي رجح المعنى الأول عند ابن حجر.

---

[٤٧] سورة الطارق الآية ٦.

[٤٨] سورة الحاق الآية ٢١.

[٤٩] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفيحاء، دمشق، ط/٢، ١٩٩٩م، حديث رقم ١٥.

[٥٠] أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط/١، ٢٠٠م، ١٧٧/١.

٢- "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ "تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْأَرُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف" (باب إطعام الطعام من الإسلام ح ١٢، ص ١٢). قال ابن حجر: قوله: "تطعم" هو في تقدير المصدر، أي أن تطعم،...وقوله: وتقرأ بلفظ مضارع القراءة بمعنى تقول".

واضح أن ابن حجر حدد دلالة كلمة (تقرأ) بالقول، من خلال السياق، لأن القراءة معناها يختلف من القول، فهي خاصة بالمكتوب.

٣- ومثله ما رواه أبو هريرة، "... قَال مَا الإسْلام؟ قَال: أنْ تعْبُد اللهَ وَلاَ تُشْرِك بهِ، وتُقِيم الصَّلاة وتُؤَدِي الزَّكاة المَفْروضَة، وتَصُوم رَمضَان" (باب سؤال جبريل عن الإسلام، ح٥٠، ص١٥).

فسَّر ابن حجر قوله: أن تعبد بمعنى: تشهد[٥١] معتمداً على السياق، أي تشهد ألَّا إله إلا الله، ولكنه يرى أن التعبير بقوله: أن تعبد فيه دلالة على المستقبل الذي يلزم منه الاستمرار.

٤- "... حَدَّثنِي عبْدٌ اللهِ أَنَّ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّم، قالَ: سِبابُ المُسْلِم فُسوق، وقِتَاله كُفْر" (باب خوف المسلم من أن يحبط عمله، ح٤٨، ص١٥).

قوله: سباب هو مصدر الفعل سب، ودلالة المصدر في الحديث تشير إلى أن السباب يقع من طرف واحد. ولكن ابن حجر: في شرحه للحديث نظر إلى السياق، فتوسع في معنى السباب، وأصبح عنده دالاً على المشاركة مثل القتال[٥٢]، وهذه الدلالة مستنبطة من السياق.

٥- "...فقالَ الرّجلُ للنَّبي صلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّم: إنّي سائِلكَ فمُشدِّد عليْك المسْألَة، فَلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نفْسِك..." (باب طرح الرجل المسألة ح٦٣، ص٢٠).

---

[٥١] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١/١٧٦.

[٥٢] نفسه.

(ISSN: 2536 - 9555)

قوله: لا تجد من كلمة (وجد) ولها أكثر من معنى، وأكثر من مصدر، فمن معانيها: الوجد (بالفتح) الشوق ويقال الموجدة الغضب، والوجدان الضالة، ووجدا (بالضم) المال...[٥٣]، إذن المادة واحدة والمعاني متعددة. وفي الحديث السابق قال ابن حجر: لا تجد لا تغضب، فحدد الدلالة بالرجوع إلى السياق.

٦- "إذا هَلَك كِسْرى فَلا كِسْرى بعْدهُ، و إذا هَلَك قيْصَر فَلا قيْصر بعْده، والذي نَفْسِي بيدِهِ لَتُنْفَقُن كُنُوزهما في سَبِيل اللهِ" (باب علامات النبوة ح٣٦١٨، ص٩٨٧).

قوله: إذا هلك، الفعل هلك يدل على الماضي التام، ولكن السياق يوجهه إلى المستقبل، وذلك لأن الهلاك لم يقع بعد، ولكن جاء التعبير بالماضي لأنه مؤكد الوقوع.

٧- "مَنْ أنفَقَ زوْجيْنِ فِي سبِيلِ اللهِ، نُودِي مِن أبْوابِ الجنَّة يا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَن كانَ مِنْ أهلِ الصَّلاة دُعِي مِن بابِ الصَّلاة..." (باب من أنفق ح١٨٩٧، ص٧٣٤). قال ابن حجر: "قوله (خيْرٌ) ليس اسم تفضيل، بل المعنى هذا خير من الخيرات، والتنوين فيه للتعظيم"[٥٤].

ظهر أثر السياق في التمييز بين استعمال كلمة (خيْر) للتفضيل ولغير التفضيل.

وقد تأتي صيغة (فعيل) بمعنى (فاعل) يقول حلمي خليل: "وقد يرجع التضاد إلى احتمال الصيغة الصرفية لأكثر من دلالة، فصيغة (فعيل) قد تأتي بمعنى (فاعل) مثل: سميع، وعليم، وقدير، كما قد تأتي أيضاً بمعنى مفعول مثل: دهين بمعنى مدهون، وقتيل بمعنى مقتول، وكحيل بمعنى مكحول، ومن هنا قيل بالتضاد في الغريم بمعنى الدائن والمدين، والقنيص بمعنى القانص والمقنوص، ومثل ذلك أيضاً في صيغة (فاعل) التي قد تستخدم بمعنى مفعول مثل: خائف بمعنى مخوف... والذي يحدد ذلك هو السياق"[٥٥].

---

[٥٣] ابن جني، الخصائص، ٢٠٧/٢.

[٥٤] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٦١/٤.

[٥٥] د. حلمي خليل، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/١، ١٩٦٨م، ص٢٢١.

وقد تأتي (فعيل) بمعنى (مفاعل)، و(فعْل) بمعنى (فاعل)، وهكذا تتبادل هذا الصيغ المعاني في التركيب والسياق هو الذي يرجح معنى دون الآخر، كما في الأحاديث الآتية:

٨- جاء في الحديث: "إنَّ أبا بَكر رجُلٌ أسيف" (باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم، ح٦٦٤ ص١٦٣). قال ابن حجر: قوله أسيف على وزن (فعيل) وهو بمعنى (فاعل)، من الأسف وهو الحزن والمراد، أنه رقيق القلب"[٥٦]. ابن وحجر وجَّه دلالة صيغة (فعيل) معتمداً على السياق، وكذلك حدد معنى كلمة (أسيف) أيضاً من خلال السياق، وذلك لأن أبابكر كثير البكاء في الصلاة.

٩- "فَمُرْنا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِر بِهِ مَنْ وَراءَنا ونَدخُل بِه الجَنَّة" (باب أداء الخمس من الإيمان ح٥٣ ص١٦). قال ابن حجر: "والفصْل بمعنى الفاصل، كالعدْل بمعنى العادل، أي يفصل بين الحق والباطل ...أو "[٥٧]. جاءت صيغة (فعْل) بمعنى فاعل.

١٠- "أُرِيتُ النَّار فَرأَيْت فَإذا أكْثر أَهْلِها النِّساءُ، يَكْفُرنَ قِيلَ أَيَكْفُرنَ بِاللهِ؟ قَالَ يَكْفُرْنَ العَشِير" (باب كفران العشير ح٢٩، ص١٠).

العشير هو الزوج، وقيل له (عشير) بمعنى معاشر، وردت صيغة (فعيل) بمعنى مفاعل، وقد أدى السياق دوراً فاعلاً في توجيه هذه الدلالة.

١١-جاء في: "بابٌ في الرِّكاز والخُمُس" قول الإمام البخاري: "وَقَال بَعْضُ النَّاسِ: المَعْدِن رِكازٌ مِثلُ دِفْنِ الجَاهِلِيَّة".

قال ابن حجر: "دِفْن الجاهلية" (بكسر الفاء وسكون الحاء)، الشيء المدفون، كذِبْح بمعنى مذبوح، وأما بالفتح فهو المصدر ولا يراد هنا"[٥٨]. في هذا الحديث حدد ابن حجر

---

[٥٦] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٢١٨/٢.
[٥٧] المرجع السابق /١٩٥.
[٥٨] ابن حجر العسقلاني، ٥٢٢/٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

الصيغة التي ترجحت لديه، من خلال السياق، وأبعد الصيغة غير المرادة وما يؤكد اعتماده على السياق، قوله: ولا يراد هنا.

يتضح من الأحاديث المذكورة، أثر السياق في تحديد معنى الكلمة، وما قاله ابن حجر في تفسيره يتفق وما يراه علماء اللغة المحدثون. قال تمام حسان: " فإن المبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد، ما دام غير متحقق بعلاقة ما في سياق ما، فإذا تحقق المعنى بعلاقة أصبح نصاً في معنى واحد بعينه، تحدده القرائن اللفظية، والحالية، والمعنوية على السواء[٥٩].

النتائج:

انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- درس القدماء من علماء العربية، السياق دراسة مستفيضة، ووقفوا على أهميته.

٢- أكدت الدراسة أن الدلالة الحقيقية للكلمة تنبع من خلال علاقتها بأخواتها في التركيب.

٣- ظهر أن الكلمات قد تتشابه شكلاً ومعنى، والسياق هو الذي يحدد المعنى المناسب.

٤- وضح أن السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي، يؤثر في توجيه دلالة الكلمة.

٥- ثبت أن ابن حجر وظَّف السياق توظيفاً كاملاً في استنباط الدلالة الراجحة لديه.

٦- كشف البحث عن معرفة لغوية واسعة لابن حجر استفاد منها في شرح الحديث النبوي الشريف.

التوصيات:

يوصي الباحث بالاهتمام بالدراسات اللغوية التي توظف اللغة توظيفاً دلالياً، من خلال النصوص التي توفر مادة صالحة تكشف عن العلاقة بين الدلالة والتركيب والسياق.

---

[٥٩] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٦٣.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار مصر للطباعة، ط/١، ٢٠٠١م.
٣- أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ط/٢، ٢٠٠٨م.
٤- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٢م.
٥- أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط/١، ١٩٩٧م.
٦- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي دار ابن الهيثم، القاهرة، ط/١، د.ت.
٧- أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط/٢ ١٩٨٧م.
٨- أحمد مختار عمر، (الدكتور)، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط/٦، ٢٠٠٢م. البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط/٦، ١٩٨٨م. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، ١٩٧٦م. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/٧، ١٩٩٧م.
٩- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/١، د.ت.
١٠- توفيق الزيد (الدكتور)، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط/١ ١٩٨٤م.
١١- تمام حسان (الدكتور)، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط/٥، ٢٠٠٦م. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م. اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب القاهرة، ط/٢، ١٩٨٤م. الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط/٣ ٢٠٠٩م. اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٧م.
١٢- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/١، ١٩٩٠م.

(ISSN: 2536 - 9555)

١٣- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تحقيق محمد بدر الدين النمساني، دار المعرفة بيروت، د.ت. الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٤- حلمي خليل (الدكتور)، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط/١ ١٩٦٨م.
١٥- عبد الرحمن أيوب، (الدكتور)، التطور اللغوي، دار الطباعة القومية، القاهرة، ط/ ١، ١٩٦٤م.
١٦- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
١٧- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.
١٨- غازي مختار طليمات (الدكتور)، في علم اللغة، دار طلاس، سوريا، ط/٢، ٢٠٠٠م.
١٩- كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار غريب، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٧م.
٢٠- محمد الخولي، (الدكتور)، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط/١، ١٩٨٢م.
٢١- محمد حسين علي الصغير، (الدكتور)، تطور البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٩٨٨م.
٢٢- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق القاهرة، ط/١، ٢٠٠٠م.
٢٣- محمد يوسف حبلص،(الدكتور)، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب القاهرة، ط/١ ١٩٩١م.
٢٤- محمود السعران، (الدكتور)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت. اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الاسكندرية، ط/٢، ١٩٦٣م.
٢٥- مهدي المخزومي، (الدكتور)، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت ط/٢ ١٩٧٦م.
٢٦- موفق الدين يعيش بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت.
٢٧- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط/١ ١٩٨٧م.